بعض من مشاريع البلاغة المعرفية "مارك تورنر" نموذجا

د.عمر بن دحمان

جامعة مولود معمري -تيزي وزو -الجزائر

Abstract: in this paper, I will try to highlight some of efforts in cognitive research, especially foundational researches about cognitive rhetoric as a theory of discourse analysis, and propose some of them that focused on the practical side and try to draw inspiration from the efforts of one of the most important Researchers in rhetoric of literary discourse: *Mark Turner*; and his significant contributions in the cognitive theorizing of the transfiguration of mechanisms of creative thinking and rhetoric of discourse.

Keywords: cognitive rhetoric, cognition, Mark Turner, literary discourse, literary criticism, conceptual metaphor.

1 - مثلت أبحاث اللساني المعرفي الأمريكي جورج لايكوف وشريكه مارك جونسون مدخلا لإعادة النظر في الاستعارة والكناية ورد أصولهما إلى الذهن، تم ذلك في إطار لساني معرفي، وانطلاقا من الفلسفة التجريبانية المتجسدة[لخ]، ومع الأعمال التطبيقية التي صاحبت هذه التنظيرات أو تلتها، اقترح باحثون آخرون إعادة النظر في مجالات بحث كلاسيكية قاربت لغة الخطاب وبلاغته وأسلوبه وإعادة تناول كل ذلك من زاوية أخرى هي الزاوية الذهنية المعرفية، فظهرت بذلك نفس التسميات القديمة أو الرائجة وإضافة صفة المعرفية لها من قبيل: البلاغة المعرفية، الشعرية المعرفية، الأسلوبية المعرفية، التداولية المعرفية، وكلها تسميات تبنى أصحابها البعد المعرفي في تناول بلاغة الخطاب وقضايا تحليله.

ويعد اللساني المعرفي مارك تورنر من الدارسين المؤسسين للبلاغة المعرفية، وتمثلت إسهاماته في تطبيق نتائج البحوث اللسانية المعرفية (وبخاصة النظريات المعرفية حول الاستعارة والكناية والمزج التصوري) على بلاغة الإنتاجات الأدبية المختلفة. استهل ذلك باستلهام وتطبيق نظرية الاستعارة التصورية conceptual metaphor theory التي تنسب لجورج لايكوف، لينتقل بعدها إلى نظرية المزج التصوري conceptual blending theory بالاشتراك مع صاحب النظرية جيل فوكونيي [بر].

مارك تورنر عالم معرفي ولساني من مواليد سنة 1954. يشتغل أستاذا للعلوم المعرفية في جامعة Case Western Reserve [تر] بالولايات المتحدة الأمريكية... أسس مع جيل فوكونيي نظرية المزج التصوري، ونشرا عنها في مجموعة من الكتب والموسوعات[4]. يشتغل تورنر أيضا مديرا لشبكة العلم المعرفي (CSN). ومديرا فرعيا لمختبر Red Hen[5] .

يحتم علينا انتقال مارك تورنر في نشاطه البحثي بين نظريتين معرفيين متنافستين (بحسب بعض الآراء) أو متكاملتين (بحسب آراء أخرى) أن نخصص لكلتا المرحلتين حيزا نقف فيه على العمل الكبير الذي حاول من خلاله مارك تورنر أن يستثمر أطروحات أهم النظريات المعرفية في وقته والإسهام في بلورتها وتطويرها والاستفادة منها في المجال الأدبي بشكل خاص، لذا سنحاول أن نقف أولا عند استلهامه لأطروحات نظرية الاستعارة التصورية، على أن تكون لنا عودة لاهتمامه التالي بنظرية المزج التصوري التي ظهرت بعد النظرية الأولى بزمن يسير في فرصة أخرى.

2. مارك تورنر ونظرية الاستعارة التصورية: نظرية الاستعارة التصورية (تكتب اختصارا **CMT**) كما يحددها فيفيان إيفنس في مسرده هي "إطار نظري طوره جورج لايكوف ومارك جونسن، لكنه ارتبط أيضا بدارسين آخرين مؤثرين

منهم زولطان كوفيتش، ريموند غيبس، إيف سويتسر ومارك تورنر. عرضت نظرية الاستعارة التصورية أول مرة من قبل جورج لايكوف ومـارك جونسـن في كتابهما الاستعـارات التـي نحيـا بها **Metaphors We Live By** المنشور سنة 1980. تعد هذه النظرية واحدة من الأطر النظرية المبكرة المطورة ضمن الدلالة المعرفية والتي وفرت الكثير من الزخم النظري المبكر لهذه المقاربة للعلاقة بين اللغة، والذهن والتجربة المتجسدة. المقدمة الأساسية لنظرية الاستعارة التصورية مفادها أن الاستعارة ليست مجرد مظهر أسلوبي للغة ولكن الفكر نفسه استعاري بشكل أساسي وطبيعي.

وفقا لهذه الرؤية، تنتظم البنية التصورية من خلال ترابطات عبر مجالية أو توافقات بين المجالات التصورية. منطلق بعض هذه الترابطات يكون من التجارب المتجسدة ما قبل التصورية بينما تبنى ترابطات أخرى على هذه التجارب من أجل تشكيل بنيات تصورية أكثر تعقيدا. كشاهد على ذلك، يمكننا أن نفكر ونتكلم عن تصور الكمية من خلال تصور الارتفاع العمودي، كما في قولنا: تحصلت على علامة عالية في الامتحان، أين لا ترتبط كلمة عالية حرفيا بارتفاع فيزيائي بل ترتبط بعلامة جيدة. يحصل هذا وفق نظرية الاستعارة التصورية بسبب أن المجال التصوري للكمية مبنين بشكل وضعي وبالتالي يفهم من خلال المجال التصوري للارتفاع العمودي.

تتضمن العمليات التصورية الترابطات، من قبيل الاستعارة التصورية، المعروفة بشكل أعم باسم الإسقاط التصوري.

يشتمل تحديد إيفنس على مجموعة من المصطلحات ضمن نظرية الاستعارة التصورية التي تحتاج بدورها لتحديد منفصل، وهي مفاهيم أساسية يقوم عليها الشرح المفهومي للنظرية إجمالا، هذه المفاهيم ومصطلحاتها هي:

التصور، المجال التصوري، الإسقاط التصوري، البنية التصورية، التجربة المتجسدة...، وغيرها من المفاهيم الأساسية.

فيما يلي تحديد لأهم هذه المفاهيم ومصطلحاتها المرتبطة بنظرية الاستعارة التصورية كما أوردها زولطان كوفيتش في معجم له□:

المصطلح	تحديده
الاستعارة التصورية **CONCEPTUAL METAPHOR**	عندما يُفهم مجال تصوري من خلال مجال تصوري آخر، تكون هنا استعارة تصورية. يتحقق هذا الفهم بملاحظة مجموعة من التوافقات أو الترابطات النسقية بين المجالين. ويمكن أن تعطى الاستعارة التصورية من خلال الصيغة ألف هو باء، أو ألف مثل باء، حيث يشير ألف وباء إلى مجالين تصورين مختلفين.
المجال التصوري **Conceptaual domain**	المجال التصوري هو تمثيلنا التصوري (**conceptual representation**)، أو معارفنا (**knowledge**) الخاصة بأي قسم منسجم من التجربة. كثيرا ما تسمى هذه التمثيلات "تصورات". تتضمن هذه المعارف كلا من المعارف بالعناصر الأساسية التي تشكل مجالا ما، والمعارف الثرية بالتفاصيل حول مجال ما، والتي غالبا ما تخدم الاقتضاءات الاستعارية.
المجال المصدر **Source domain**	إننا نستخدم المجال المصدر، كمجال تصوري، لفهم المجال التصوري الآخر (المجال الهدف). تكون المجالات المصدر نمطيا أقل تجريدا أو أقل تعقيدا من المجالات الهدف. مثلا، في الاستعارة التصورية الحياة سفر، ينظر للمجال التصوري للسفر بصفة نمطية على أنه أقل تجريدا أو تعقيدا من المجال التصوري للحياة.

المجال الهدف **Target domain**	إننا نحاول فهم المجال الهدف، كمجال تصوري، بمساعدة مجال تصوري آخر (المجال المصدر). تكون المجالات الهدف بصفة نمطية أكثر تجريدا وارتباطا بالذات من المجالات المصدر. مثلا، في الاستعارة التصورية الحياة سفر، ينظر إلى المجال التصوري للحياة على أنه أكثر تجريدا وتعقيدا من المجال التصوري للسفر.
التوافقات **Correspondences**	يعني فهم المجال الهدف من خلال المجال المصدر أن نأخذ بالاعتبار توافقات تصورية معينة بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف.
الاقتضاءات الاستعارية **Entailments, metaphorical**	هي العناصر الاستعارية الناشئة عن المعارف الثرية التي يملكها الناس بخصوص عناصر المجالات المصدر. مثلا في استعارة الغضب سائل حار في وعاء، تكون لدينا معرفة سابقة حول سلوك السوائل الحارة في وعاء. عندما تُعزز هذه المعارف المجال الهدف انطلاقا من المجال المصدر، فإننا نحصل على عناصر استعارية.
الاقتضاء الاستعاري المحتمل **metaphorical Entailment potential**	للمجالات المصدر مجموعة واسعة من الاقتضاءات المحتملة أو الكامنة التي يمكن توجيهها إلى اقتضاءات استعارية. تؤلف هذه الاقتضاءات المحتملة الاقتضاءات الاستعارية للمجالات المصدر في الاستعارات البنيوية.
عناصر (مظاهر المجالات) **Elements (of aspects of domains**	تتألف مظاهر المجالات من عناصر تصورية: كيانات وعلاقات بينها. وعلى هذه العناصر تتأسس الترابطات بين المجالات.

الترابطات **mappings**	تخصص الاستعارات التصورية بواسطة مجموعة من التوافقات التصورية بين عناصر المجال المصدر وعناصر المجال الهدف. هذه التوافقات يقال لها "ترابطات" بصفة تقنية.
الأساس التجريبي للاستعارة	الاستعارات التصورية تؤسسها أو تحفزها التجربة البشرية. يتضمن الأساس التجريبي للاستعارة هذه الارتكازية على التجربة (**groundedness-in-experience**) فقط. فنحن نجرب بصفة خاصة الترابطية البينية (**interconnectedness**) لمجالين من التجربة، وهذا ما يسوغ لنا وصلا تصوريا بين المجالين. مثلا إذا ما كنا نجرب دائما الغضب بكونه مقترنا بحرارة الجسد، سنشعر بوجود مبرر لإنشاء واستعمال الاستعارة التصورية الغضب سائل حار في وعاء. والتجارب التي تتأسس عليها الاستعارات التصورية يمكن أن تكون جسدية ولكن ليس هذا فقط، وإنما قد تكون إدراكية، ومعرفية، وبيولوجية، أو ثقافية أيضا. ويمكن للترابطية البينية بين مجالين من التجربة أن تكون من أنماط متعددة، تتضمن تعالقات في التجربة، وإدراك تشابهات بنيوية بين مجالين اثنين، وهلم جرا.
تسليط الضوء	في عملية تسليط الضوء على مظاهر متنوعة من المجال الهدف، يتم التركيز على بعض المظاهر عن طريق المجال المصدر.

التعابير اللغوية الاستعارية	تأتي الكلمات اللغوية والتعابير الاستعارية (مثل التعابير المسكوكة **idioms**) من اصطلاح المجال التصوري الذي يستخدم لفهم مجال تصوري آخر. مثلا، عندما نعبر عن كوننا في مفترق الطرق في حديثنا عن الحياة، فهذا التعبير الاستعاري يأتي من مجال السفر. وفي العادة نجد تعابير استعارية عديدة تعكس استعارة تصورية مفردة، مثل استعارة: الحياة سفر.
تحققات الاستعارات التصورية	يمكن للاستعارات التصورية أن تصبح متجلية بطرق عديدة. إحدى هذه الطرق الأساسية هي من خلال اللغة. ومع ذلك يمكنها التجلي أيضا بطرق غير لغوية

هذه بصفة موجزة بعض التحديدات لأهم المصطلحات المتعلقة بنظرية الاستعارة التصورية، يمكن العثور على تفاصيلها في أعمال ممثلي النظرية أمثال لايكوف وجونسون وكوفيتش وتورنر أيضا. هذا الأخير الذي حاول الاستفادة من هذه المفاهيم واستخدامها في تحليل إنتاجات أدبية من أجل الوقوف على بلاغتها وأدبيتها من منظور معرفي معاصر كما سنرى في النقطة التالية.

مارك تورنر وتطبيق نظرية الاستعارة التصورية على الأدب:

نحاول أن نتتبع إسهام مارك تورنر في التنظير البلاغي المعرفي بالاعتماد على نظرية الاستعارة التصورية من خلال الوقوف عند واحد من أهم مؤلفاته في هذا المجال، هما:

- Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism (University of Chicago Press, 1987)
- More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor (with George Lakoff, University of Chicago Press, 1989)

نختار بسبب ضيق الحيز التعريف بالكتاب الأول المؤلف سنة 1987، أي بعد سبع سنوات عن صدور الكتاب المؤسس لنظرية الاستعارة التصورية "الاستعارات التي نحيا بها" والذي خصصه تورنر لدراسة النماذج المعرفية لمفهوم "القرابة" الأسرية من استعارات وكنايات، قائلا في مقدمة الكتاب [١٢] إن موضوعه يتصل بالبلاغة المعاصرة المستفيدة من تبصرات العلم المعرفي□ واللسانيات المعرفية□. مستلهما علاقة البلاغة الكلاسيكية بالمعرفة البشرية من خلال سعيها إلى الكشف عن المعارف والأفكار التي يوظفها الأفراد لأجل التواصل، وأورد الأسئلة التي رافقت هذه البلاغة أي تلك المتعلقة بالذهن والفكر من قبيل كيف يمكن للمتكلم أن ينقل المستمع من حالة ذهنية إلى أخرى بواسطة اللغة؟ ما هي المواضع المشتركة؟ وما هي الصلات بين الفكر واللغة؟ كيف يمكن لأحدهم أن يحدث هذه الصلات للإثارة، والاكتشاف، والإقناع؟ لقد أراد أرسطو معرفة كيف ترتبط صور أسلوب الإلقاء بصور الفكر. كما تمسك شيشرون بالقول إن ابتداء الخطابة، التي تخدم أجزاؤها الأخرى نموها، هي ابتكار ذهني أو تصور. وكشف عن بعض العمليات المسؤولة عن ابتكار ذلك. بعد ذلك انحطت البلاغة عندما تخلت عن الفكر لصالح الأسلوب. وطمست الصور السطحية للغة الذهن، واختزلت البلاغة نفسها إلى فهرسة ما اعتبر أنه أنواع اللعب السطحي بالكلمات كما لو لم يكن له أي نظير معرفي. بهذا فقدت البلاغة قدرتها على إخبارنا أي شيء حول الفكر واللغة وأصبحت بالتالي هامشية، إلى غاية الوقت الراهن أين استعادت البلاغة الكلاسيكية حياتها بمساعدة منظرين معاصرين للاستعارة ضمن اللسانيات المعرفية والعلوم المعرفية.

أوضح تورنر أن بحثه يبين أن الاستعارة ليست مجرد شأن يخص *الكلمات*، بل هي أداة جوهرية للمعرفة لها تأثير على التفكير والفعل البشريين كليهما، بما في ذلك اللغة اليومية واللغة الشعرية.

ويذكر تورنر أن هدفه من دراسته يتمثل في تطوير منهج للتحليل يجعل منه وريثا طبيعيا للبلاغة الكلاسيكية. هذا المنهج في التحليل ينطلق من واقع أن المستمعين يقتسمون الكثير من المظاهر: أنسقة تصورية، ممارسات اجتماعية، معارف مشتركة، اجناس خطابية، وكل مظهر لغوي مشترك، مثل التركيب، والدلالة، والمورفولوجيا، والفونولوجيا. إن البلاغة حسبه تسعى إلى تحليل كل هذه الأنسقة المعرفية المشتركة لدى المستمعين والطرق التي يمكن استخدامها من خلالها. إن مهمة البلاغة من ثمة تتداخل مع مهمة العلوم المعرفية.

يفصل مارك تورنر في مشروعه البلاغي أكثر بربطه بالنقد الأدبي الحديث الذي لا يبدأ في العادة حسبه من هذا المنظور. فهو لا ينطلق في تحليله من الأدوات المعرفية الثاوية خلف اللغة ولكن بدلا من ذلك يفترض ويستخدم هذه الأدوات لإدارة المحاورات النقدية التي غالبا ما تكون امتدادا للأدب. وللمحاورات النقدية أسباب عديدة منها: تعلم شيء عن العالم، كشف آراء الآخرين، تطوير حس جمالي أو أخلاقي، وهلم جرا. فالتقاليد النقدية المعاصرة توسع نمطيا مثل هذه المحادثات بطريقة مشروعة. ويمكن أن تكون المحادثات بحسب تورنر ذات شأن حتى ولو لم يفهم المحاور السيرورات اللغوية والمعرفية التي تسمح لها بالانعقاد. مثال ذلك ما نشعر به تجاه أداء الراقص الذي يمكن ان نحلل أداءه حتى ولو لم نحلل المظهر البيولوجي للعضلات البشرية والهياكل العظمية. وعليه سنسلم كلنا بأن قطعة نقدية أدبية يمكن أن تكون ذات شأن حتى ولو لم يفهم الناقد الأدبي الأدوات المعرفية الثاوية خلف اللغة والأدب.

ويذهب تورنر بعيدا بالقول إن هذه الأدوات المعرفية تشكل بشكل مهيمن أي محاورة يمكن إنجازها وأي عمل أدبي يمكننا كتابته وأي نقد يمكننا القيام به. إنها تثوي خلف كل الرقائق الأدبية. وعندما يفترض الناقد الأدبي أنه فهم أن الأدوات والإجراءات لتحليل الرقائق التي تشتق منها، يكون مخطئا ببساطة في مقدماته وافتراضاته. وهذا يفسد جدارة التحليل الناتج.

يضرب تورنر مثالا عن المنطلقات الخاطئة للنقد المعاصر بما يذهب إليه النقد التفكيكي الذي يعمد إلى قراءات تعتمد على مبدأ اللعب الحر بالمدلولات، ولكن هذا المبدأ خاطئ بحسب تورنر، ويقول إنه بالإمكان أن ندعو لاستخدام كل أضرب المعارف في قراءتنا لنص ما وبذلك ننتج قراءات مختلفة إضافية، ولكن هذا لا يعني أن النصوص حرة في تدفقها دون قيد. على العكس، فرغم أن النص يمكن أن ينتج في قراءات متنوعة، إلا ان **كل** هذه القراءات تقيدها أساليبنا المعرفية. فالنقد التفكيكي، مثل أغلب النقود الأدبية، في وضع خطير بتعليق تحليلاته على افتراضات مسبقة من المرجح أنها خاطئة حول الفكر، والمعارف، واللغة.

يتمثل هدف تورنر من هذه الدعوة إلى منح الناقد أدوات عمل ذلك بمسؤولية وبشكل أفضل، وليس تغيير المهمة الأساسية له، التي هي القيام بمحاورات ذات شأن حول الأدب. فإذا عززت هذه المهمة بإحاطة لا بأس بها بكل ما يتعلق بالمعرفة واللغة يكون ذلك أفضل بكثير. يحصل ذلك بمعرفة ما هي النماذج المعرفية المؤمثلة[لح لخ] حول تصور ما في ثقافتنا والاستعارات التي تفاعلت معها لتحصيل استنتاجات استعارية... الخ. ويضيف تورنر بأن الخسائر المترتبة عن عدم معرفة ما يربط بين الفكر، والمعارف، واللغة هي كبيرة جدا للتقاليد النقدية الأدبية من أجل أن تحافظ على بقائها. فقوة الأدب الجيد يستمدها من براعته في استحضار عدتنا المعرفية وتحريكها. والنقد الأدبي المعاصر، بسبب

عدم انشغاله بهذه المقدرات المعرفية العامة، نادرا ما ينكب على مصدر قوة الآداب. ومن الجانب المنهجي غطى النقد الأدبي عن طريق الافتراض الخاطئ على الارتباطات الفعالة للأدب بالأنواع الأخرى للتفكير والمعارف البشرية.

يقول تورنر في مقدمته دائما أن أحد الموارد الأساسية التي ندرس بها الأدب هي فهم عمل الذهن البشري. فمن خلال الأدب يمكننا رؤية أمور معينة حول الذهن البشري بصفة أفضل. والكتاب يكشفون باستمرار عن بنياتنا التصورية واللغوية والوقوف عند كيفية تلقيها أو عدمه. ومن الضروري أن ينكب الناقد الأدبي على هذه المهمة باقتدار.

إن الاستعارة مثلا بوصفها آلية ذهنية ليست مجرد لعب أدبي بالكلمات، ولا شأنا لغويا، بل هي نمط فكري يشكل معارفنا عامة، بما في ذلك معرفتنا حول عوالمنا اليومية، كالحب، والعائلة، والأسلحة الذرية، والاغتصاب، والرياضيات، والنوع البشري، والاقتصاد، وجسمنا...إلخ. عندما يتحدث الناقد الأدبي عن الاستعارة، فإنه يتحدث عن مبادئ فكرية تتحقق في نوع معين من اللغة. وبما أن هذه المبادئ الفكرية أساسية لجميع العلوم البشرية الأخرى، فالمطلوب من الناقد الأدبي تقديم شيء ما يدعم به كل هذه الفروع العلمية.

ويدعو تورنر إلى ضرورة تكاتف جهود كل من نقاد الأدب في تحليلهم للأدوات المعرفية الأساسية للأدب والباحثين الآخرين في اللسانيات وعلم النفس وعلم الأعصاب... ويعتقد تورنر أن حصيلة هذا النشاط التعاوني إصدار نسخة معدلة ومحدّثة عن البلاغة الكلاسيكية التي ستنظر إلى الأدب على أنه مكان جدير بالبدء في البحث عن أي شيء يعنى بالذهن البشري. مع ضرورة تجاوز الفكرة الخاطئة التي تفصل بين العلم والأدب.

المقاربة البلاغية المعرفية للنصوص الأدبية: هذه المقاربة التي يود تورنر بعثها وأن تحتل مكانا في السياق المعاصر مقاربة مختلفة عن المقاربة المهيمنة في

النقد الأدبي. مثل هذه المقاربة البلاغية تموضع الأدب واللغة بإرجاعهما إلى مركز البحث في الذهن. فإذا ما رغبنا في معرفة كيف يدرك الناس العالم وينمذجونه، فلننظر في قوالبهم اللغوية والإبداعية. الأدب والمعرفة منفتحان على بعض. فالأدب يقودنا إلى طرح أسئلة حول الفهم البشري، ودراسة الذهن البشري تعود به إلى القرائن الفنية الأقدم والأكثر ترسخا.

المنهج: تحليل استعارات القرابة نموذجا

يقول تورنر أنه من أجل البدء في تطوير منهج لتحليل الارتباطات بين الفكر، والمعارف، واللغة، والأدب، فإنه يحتاج إلى مخبر. هذا المخبر ينبغي أن يتضمن ما يلي:

-نوعا أساسيا من الفكر (الفكر الاستعاري مثلا)،

-نوعا أساسيا من المعارف (نماذج العائلة مثلا)،

-نوعا هاما من الاستخدام اللغوي (استعارات القرابة. "الحاجة أم الاختراع " مثلا)

-نوعا هاما من الأدب (مثلا استعارات القرابة الادبية الموسعة) المرتبطة بالأنواع الثلاثة كلها.

يختار تورنر **استعارة القرابة** كمختبر بسبب مناسبة هذه الاستعارة للمعايير السابقة وهي مناسبة لمشروعه بسبب غناها. ويرى تورنر أن ثمة انفصال عميق وقوي بين النوع الهام الخاص بالفكر [الاستعاري مثلا] والنوع الهام الخاص بالمعارف [ما نعرفه عن العائلة مثلا] اللذان يجتمعان في استعارة القرابة. احدى الطرق لفهم استعارة الفكرة العامة المجردة [القرابة مثلا] يكون من خلال ما نعرفه عن القرابة. غالبا نحن نفكر في تصورين على أنهما مرتبطان بعلاقة استعارية تجمعهما. يمكننا فهم فكرتي **العلاقة** و**التشابه** من خلال **علاقة**

القريب و**التشابه العائلي**. يمكننا إذن أن نفهم استعارة الفكرة العامة المجردة بموضعتها في علاقة استعارية للقرابة.

هذا الأمر ليس مفاجئا بحسب تورنر خاصة عندما نتأمل في أننا غالبا ما نصنف الأشياء في نفس المقولة على أساس ما يسمى **بالتشابه العائلي** family resemblance. وهي تشابهات نلاحظها كثيرا منذ الطفولة، ويأتي استخدام مفهوم التشابه هذا بشكل دقيق ليساعدنا في توضيح كيف يثمر شيئان علاقة استعارية أو تشابها. باختصار نحن نوضح **الاستعارة** أمام أعيننا من خلال ما نعرفه عن **العائلة**.

تقود استعارة القرابة أيضا بصفة مباشرة نحو دراسة الذهن البشري بموازاة مسالك أخرى. وتحليل استعارة القرابة يكشف عن نموذج ذهني نستخدمه لإنتاج أنواع لغوية معينة حول الذهن وفهمها.

لا فصل بين اللغتين اليومية والأدبية

من أجل اكتشاف هذا المختبر الخاص باستعارة القرابة، ينطلق تورنر من كل من اللغتين العادية والأدبية. اللتان ما يزال ينظر إليهما اللّسانيون ونقاد الأدب انهما من عالمين منفصلين وينبغي دراسة كل واحدة على حدة. هذه الفكرة الأساسية حول اللغة التي يتقاسمها هؤلاء هي فكرة خاطئة بحسب تورنر. لكن اللّسانيون ونقاد الادب يتمسكون بهذه الرؤى لأسباب مختلفة. يتجلى ذلك في أن التقليد المعاصر المسيطر في اللّسانيات يشغل نفسه بدراسة اللغة الحرفية العادية. ويفترض أن اللغة الأدبية لغة طفيلية على اللغة الحرفية العادية ومن ثمة هي هامشية، بدلا من كونها مركزية، وتحظى بالأهمية. أما التقليد المعاصر المسيطر في النقد الأدبي فيفترض أن اللغة العادية لغة بسيطة، جد مفهومة، و"شائعة" بالمعنى الذي يقول إنها لا تكون نقية بشكل واف. وبما أن الناقد الأدبي منشغل بنقاء اللغة، فاللغة العادية لا تفي بالغرض فيتوجه

لدراسة اللغة الأدبية وفقط. ولكن في واقع الأمر، بحسب تورنر، العمليات التي تثوي خلف النقاوة الأدبية تخص اللغة العادية أيضا، والنقاوة نفسها تستمد من بنيات اللغة اليومية وتعتمد عليها. وبالعكس، عمليات من قبيل الاستعارة والكناية، اللتان يبعدهما معظم اللسانيين، تكون مضمنة في اللغة العادية ولا مفر منها. علاوة على أن العمليات الخاصة باللغة العادية المألوفة أكثر تبرز بشكل مكرر في بروزها الأعلى وتتجلى بإكراه أكثر في الأدب. وعليه اللساني الذي يسلم بدراسة اللغة العادية يجب أن يأخذ الأدب كجزء مما يتلمسه في الدراسة والشرح وسيساعده في مهمته المختارة بفعل ذلك. والناقد الأدبي الذي يتلمس فهم الاستخدام المهذب للغة عند كاتب مخصوص يجب أن يفهم كيف يوظف الكاتب الأدوات المعرفية المندرجة خلف اللغة العادية.

تتمة لمنهج التحليل: ارتباطا بمنهج التحليل ينوه تورنر في الأخير بجانبين يخصان هذا المنهج يستدعيان الوقوف عندهما. أولا، في العادة يحلل تورنر استعارات القرابة خارج السياق decontexruatized. لكنه بهذا الإجراء لا يقصد إلى أن استعارة القرابة المتموضعة نصيا لا تفقد جوانب من معناها عندما تخرج عن سياقها، بل يجب أن تفقد ذلك طبعا. ولكن انشغال تورنر يدور حول قوالب المعنى التي تجري على كل استعارات القرابة. قوالب المعنى هذه تتجاوز التجليات النصية الموضعية بسبب أنها جزء من قدرتنا المعرفية الاستعارية ومن نماذجنا المعرفية عن القرابة، المشتقة من مشاركتنا للمجتمع اللغوي والأدبي الذي ننتمي إليه. ثانيا، غالبا ما يموضع تورنر النصوص الأدبية جنبا لجنب مع ثقافات، ولغات، وعصور مختلفة ضمن التقليد الأدبي الواحد.

هذه أهم النقاط التي تطرق إليها مارك تورنر في مقدمة كتابه أحببنا إيرادنا بنوع من التوسع من أجل الوقوف عند أهم الأفكار التي أراد التأسيس عليها لبناء مشروعه البلاغي المعرفي، وكما نلاحظ فقد آثر أن ينحو المنحى

التطبيقي منذ البداية باختياره احدى الاستعارات المهيمنة وهي استعارة القرابة في ثقافتنا الإنسانية وتحليلها تحليلا عميقا نستشفه من فصول الكتاب التي جاءت على النحو التالي:

رقم الفصل وعنوانه	الصفحة	ملخص
الفصل 1 : مقدمة		-
الفصل 2: الاستعارة والقريب Metaphor and Kin	17	حاول المؤلف في هذا الفصل تبيان وإثبات كيف يندرج عدد قليل من الاستعارات الأساسية، وقوالب الاستنتاج الاستعارية، والنماذج المعرفية المؤمثلة خلف سلسلة واسعة من الملفوظات.
الفصل 3: النصوص الأدبيةLiterary Texts	69	وسع فيه المؤلف الإثبات السابق ليشمل النصوص الأدبية. سعيا لفهم تشبيه موسع مبني على أساس استعارة القرابة بدقة تمثل دقة السعي لفهم استعارات القرابة التي نراها بالفعل، بموضعة قوالب الاستنتاج الاستعاري لمفردات القرابة. يتضمن هذا أننا نفهم بشكل عام التشبيهات على أنها استعارات تصورية موسعة. تحديدا يوضح المؤلف في هذا الفصل كيف تعتمد بعض النصوص على استنتاجات استعارية مثل الوراثة، والمكان والزمان كأبوين، والسببية.

الفصل 4: السببية Causation,	120	حاول المؤلف قبل هذا الفصل التحقيق في العلائق التي تربط بين المعرفة، واللغة، والأدب بتحليل استعارات مخصوصة تنعكس في لغة القرابة ومفرداتها. وهو في هذا الفصل بصدد النظر بأكثر عمومية في عدتنا التصورية والدور الذي يلعبه العلم بالأنساب فيها. وصل المؤلف في خلاصة بحثه في موضوع السببية إلى نتيجة مفادها أنه ليس ثمة نمط من الأقوال لا يمكن أن يمثل بواسطة أي من الأفكار المعتادة عن كيفية تصورنا للسببية. إن الاستعارة التصورية "السببية هي تناسل" التي نملكها تخصص ذلك.
الفصل 5: المشابهة Similarity.	150	حاول المؤلف في هذا الفصل تبيان ان العلاقة الاستعارية لا تقوم على مشابهة متصورة قبلا بين المجالين المصدر والهدف، ولكنها تقوم بشكل أساس على إبداع المشابهة من خلال استعارات مبدعة كما تبرز في استعارات القرابة.
الفصل 6: معرفة النسب Genealogy	161	العدد القليل من استعارات القرابة الواضحة التي عرضها المؤلف بينت بعض الطرق التي نستخدم بها المعرفة بالنسب

بوصفه أساسا لاستعارات تصورية. وفي هذا الفصل يقترح المؤلف كيف نستخدم هذا المعرفة بشكل واسع وفعال في استعارات تصورية أخرى.		

هذه هي أهم المحطات التي توقف فيه تورنر في دراسته التحليلية والتي ختمها بملخص لأهم ما توصل إليه قائلا في خاتمة عمله[لخ لخ] بأن أفراد المجتمع اللغوي يتقاسمون أمورا عديدة، من ضمنها الأنسقة التصورية، والعمليات المعرفية، وكل مظهر من مظاهر اللغة المشتركة. هذه الأدوات المعرفية المشتركة تسمح لهم بتلقي الأدب وفهمه. تتضمن هذه الأدوات عددا قليلا من الاستعارات التصورية القاعدية التي تستخدم القرابة كمجال مصدر. هذه الاستعارات القاعدية تتفاعل مع نظرياتنا الشعبية، ومع استعارات قاعدية أخرى، ومع كنايات قاعدية ينتج عنها عشر قوالب استنتاج استعارية أساسية (هي نقل الخصائص، والمشابهة، والمجموعة، والميراث، والمكونات والمحتويات، والترتيب والتعاقب، والسببية بوصفها تناسلا، والمصدر البيولوجي بوصفه أبا، والمكان والزمان بوصفهما أبوين، والسلالة في العالم، والذهن، والسلوك). وأي تركيب بين قوالب الاستنتاج الاستعارية هذه يعلل أي استعارة من استعارات القرابة غير المحدودة في لغتنا. هذه الاستعارات التصورية، والكنايات التصورية، وقوالب الاستنتاج الاستعارية فضلا عن ذلك تبدو غنية إلى أبعد حد وفعالة في فكرنا. مثلا، توحي **السلالة** بأننا نملك نموذجا تصوريا عن السبل التي يمكن أن تسلكها الأشياء في العالم، والذهن، والسلوك انطلاقا من بعضها البعض. إننا نستخدم هذا النموذج لفهم الأحداث الجارية في العالم والذهن وإنتاج لغة حولها. أما الاستعارة القاعدية **السببية هي تناسل**، فتسمح لنا بفهم سلسلة كبيرة من الظواهر المهمة والتحدث عنها. إنها وسيلتنا التصورية المبدئية لفهم عملية

الاختراع الذهني. وتصورنا عن معرفة الأنساب إضافة لذلك يندرج خلف فهمنا للمشابهة، والتصنيف، والاشتقاق اللغوي، والعلاقة، والبنية، والمثالات والشواهد، والزمن.

يواصل تورنر قوله بأن تفسير الأدباء للأمور غالبا ما يكون من خلال تصور القرابة. وهم يقومون بذلك يعتمدون على هذه الأدوات التصورية التي نتشارك في امتلاكها [برلخ]. إن تفسير مثل هذه النصوص الأدبية يتطلب تفسيرا للأدوات التصورية واللسانية التي تجعل أمرها ممكنا.

يختم تورنر خلاصته بالقول إن اللغة والأدب على اعتبار أنهما يوجهاننا نحو إمعان التفكير في المشاكل المتصلة بالفهم البشري، تنزع دراسة الذهن أكثر نحو الفنون الأقدم والأكثر ترسخا. واعتبر عمله هذا ينبثق من الطبيعة المزدوجة للأدب والذهن البشري كبابين ينفتحان على بعض.

نكتفي بهذا القدر للتعريف بأحد أعمال مارك تورنر التي اختار أن يجعلها واجهة نتمثل من خلالها مشروعه البلاغي المستمد من تنظيرات المعرفية للاستعارة والكناية بشكل خاص، على أن تكون لنا تتمة للموضوع مع إسهامه الآخر الذي اختار أن يدرجه في إطار نظرية معرفية أخرى هي **نظرية المزج التصوري** التي تنسب إليه رفقة زميله الباحث المعرفي جيل فوكونيي.

الهوامش:

1 – ينظر عن هذه الفلسفة التي اقترحها الباحثان لتقوم مقام الفلسفات الغربية كتابهما المشترك "الفلسفة في الجسد":

George Lakoff and Mark Johnson: **Philosophy in the Flesh**: The Embodied Mind and its Challenge for Western Thought. New York: Basic Books (1999).

2 – جيل فوكونيي لساني فرنسي ولد في 19 أوت 1944، وهو باحث في العلم المعرفي. يعمل حاليا في الولايات المتحدة، وهو أستاذ التعليم العالي في جامعة كاليفورنيا، سان دييغو في قسم العلم المعرفي. اشتغل مع مارك تورنر في التأسيس لنظرية المزج التصوري. تشتمل أعماله على المؤلفات التالية (باللغة الإنجليزية):

- *The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities* (with Mark Turner) (2003)
- *Amalgama Concettuale* (with Mark Turner)
- *Mappings in Thought and Language* (1997)
- *Mental spaces: Aspects of meaning construction in natural language* (1994)

ينظر الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الرابط:http://en.wikipedia.org/wiki/Gilles_Fauconnier

3 – جامعة كيس ويسترن ريزيرف جامعة حضرية بحثية خاصة. تقع في كليفلاند بولاية أوهايو. تم تأسيسها في عام 1967 وتضم ما يقرب من 10000 طالب. وتشمل العديد من الكليات المختلفة المتاحة في الجامعة مثل الفنون والعلوم، والتعليم المستمر، طب الأسنان، والهندسة، والقانون، والإدارة، والطب، والتمريض، والعلوم الاجتماعية وأيضاً الدراسة على مستوى الدراسات العليا. ينظر الرابط:

http://www.hotcourses.ae/study/us-usa/school-college-university/case-western-reserve-university/72010/international.html

4 - ألّف مارك تورنر بمفرده وبالاشتراك مع آخرين مجموعة من الأعمال التي تناول فيها موضوعات تنتمي لمجال تخصصه في إطار العلوم المعرفية، منها هذه العناوين التي ننقلها بلغتها الأصلية (الإنجليزية):

- The Origin of Ideas: Blending, Creativity, and the Human Spark (Oxford University Press, 2014)

- The Artful Mind: Cognitive Science and the Riddle of Human Creativity (Oxford University Press, 2006)
- The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities (with Gilles Fauconnier, Basic Books, 2002)
- Cognitive Dimensions of Social Science: The Way We Think About Politics, Economics, Law, and Society (Oxford University Press, 2001)
- The Literary Mind: The Origins of Thought and Language (Oxford University Press, 1997)
- Clear and Simple as the Truth: Writing Classic Prose Second Edition (with Francis-Noël Thomas, Princeton University Press, 2011)
- Reading Minds: The Study of English in the Age of Cognitive Science (Princeton University Press, 1991)
- More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor (with George Lakoff, University of Chicago Press, 1989)
- Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism (University of Chicago Press, 1987)

http://en.wikipedia.org/wiki/Mark_Turner_%28cognitive_scientist%29#Books

5 – ينظر الموسوعة الحرة:

http://en.wikipedia.org/wiki/Mark_Turner_%28cognitive_scientist%29

وكذا الصفحة الشخصية لمارك تورنر على شبكة الإنترنت:

http://markturner.org/

6 - Cf. Zoltán kövecses: Metaphor**, a Practical Introduction**. Second Edition. Oxford University Press,2010, pp 323-329

7 - Mark Turner: Death is the Mother of Beauty: Mind, Metaphor, Criticism. University of Chicago Press, 1987, pp. 9-16

8 – يحدّد جورج لايكوف العلم المعرفي بأنه "ميدان جديد ترافق مع ما عرف عن الذهن في تخصصات أكاديمية متعدّدة: في علم النفس، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الحاسوب. وهو ينشد إجابات مفصلة عن هذه الأسئلة: ما هو الاستدلال العقلي؟ كيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما هو النسق التصوري وكيف يتم تنظيمه؟ هل يستعمل الناس كلهم النسق التصوري نفسه؟ إن كان الأمر كذلك، فما هو هذا النسق؟ وإن لم يكن كذلك، فما هو المشترك تحديدا في طريقة تفكير الكائن البشري؟ [هذه] الأسئلة ليست بجديدة، ولكن [نوع] الإجابات الراهنة عنها هي كذلك".

ويرى رادو ج. بوغدان في تأريخه للعلم المعرفي أنه برغم إطلاق هذه التسمية عليه، إلا أن العلم المعرفي مع ذلك ليس علما منسجما وموحدا بصفة تامة، ولكنه ائتلاف فضفاض بصفة متعادلة لتخصصات منفصلة إلى حد كبير، بعضها وصفي وتجريبي (كعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلم الأعصاب، والأنثروبولوجيا المعرفية)، والبعض الآخر تأملي وتأسيسي (كالفلسفة)، والبعض الآخر تأملي وتطبيقي معا (كالذكاء الاصطناعي).

إنّ الأسئلة التي يطرحها العلم المعرفي بخصوص المعرفة البشرية ليست جديدة كما يقول لايكوف لأن محاولة فهم الذهن وعملياته تضرب بجذورها بعيدا في التاريخ الفكري، كما أن المتتبع لتطور هذا الاهتمام عبر المراحل التاريخية يمكنه أن يستنتج أن التفكير حول هذه المسألة لم يتوقف، وقد تنازعه (في التقليد الغربي بشكل خاص) مجالان اثنان على الأقل هما: الفلسفة، وعلم النفس. ينظر:

- George Lakoff**: Women, Fire, and Dangerous Things,** What Categories Reveal about the Mind. The University of Chicago Press, Chicago and London, 1987. p Xi (preface)
- Radu J. Bogdan: **history of cognitive science,** (صفحات ويب دون ترقيم)
from: http://plato.stanford.edu/entries/cognitive-science/

9 – اللسانيات المعرفية مدرسة حديثة للتفكير اللساني، كان انبثاقها في الأصل مع بدايات السبعينيات نتيجة عدم رضاها عن المقاربات الصورية للّغة. وهي تضرب بجذورها إلى انبثاق العلم المعرفي الحديث في الستينات والسبعينات، وبصفة خاصة في العمل المتعلق بالمقولة البشرية، وفي الأدبيات الأولى على غرار علم النفس الجشطلتي. لقد هيمن على البحث المبكر في فترة السبعينات والثمانينات عدد قليل نسبيا من الدارسين. وفي بدايات التسعينات كان هناك نمو وتكاثر للبحوث في هذا المجال، (...). توصف اللسانيات المعرفية بأنها "حركة" أو "مشروع" لأنها ليست نظرية مخصوصة. ولكنّها مقاربة تبنّت مجموعة مشتركة من المبادئ الموجهة، والافتراضات والمنظورات التي أفضت إلى مجال متنوّع من النظريات المتكاملة، والمتداخلة (والمتنافسة أحيانا). ينظر:

Vyvyan Evans and Melanie Green: **Cognitive linguistics, an introduction**. Edinburgh University Press, 2006, p3

10 – يرى لايكوف أننا ننظم معارفنا بواسطة بنيات تسمى نماذج معرفية مؤمثلة Idealized cognitive models (ICMs)، وأن بنيات المقولة وما ينتج عن الطراز هي من نتاج هذا التنظيم. وكل نموذج معرفي مؤمثل هو كل مبنين ومركب، أي جشطلت. ويقابل هذا التصور مفهوم "الإطار" عند فلمور أو "الفضاء الذهني" عند فوكونيي. ينظر لأكثر تفصيل الفصل الرابع من كتاب جورج لايكوف:

Lakoff, George: Women, fire, and dangerous things. p 86

11 - Mark Turner: Death is the Mother of Beauty, p 167.

12 – يضرب تورنر مثالا بميلتون (الكاتب المسرحي) الذي استخدم القرابة لإنتاج وعرض تحقيق مدقق عن طبيعة النفس البشرية والعلاقات التي تربط بين مكوناتها.